٥٥

مع ابنِ كثير في تفسيره لنتدبر ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ (١)

فقد جاء في تفسير هذه الآيات قوله:

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ ﴾ معناه: أن الله لا بُدَّ أن يبتليَ عبادَه المؤمنين بحسبِ ما عندهم من الإيمان. عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: « قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً (٢) ؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ (٣)، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ (٤)، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ (١)، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا (٢) اشْتَدَّ

---

(١) العنكبوت: ١- ٦.

(٢) أيْ أَكْثَرُ وأَصْعَبُ محْنَةً ومُصيبَةً.

(٣) أيْ هُمْ أَشَدُّ في الابْتِلاء؛ لأَنَّهُمْ يتلذّذون بالْبَلاء كَمَا يَتَلَذَّذُ غَيْرُهُمْ بالنَّعْمَاء؛ وَلأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يُبْتَلَوْا لَتُوُهِّمَ فيهِمْ الأُلُوهِيَّةُ، ولِيُتَوَهَّنَ عَلَى الأُمَّةِ الصَّبْرُ عَلَى الْبَلِيَّةِ؛ وَلأَنَّ مَنْ كَانَ أَشَدَّ بَلاءً كَانَ أَشَدَّ تَضَرُّعًا والْتِجَاءً إِلَى اللَّه تَعَالَى.

(٤) قَالَ الْحَافظُ: الأَمْثَلُ أَفْعَلُ منْ الْمَثَالَة، وَالْجَمْعُ أَمَاثِلُ، وَهُمْ الْفُضَلاءُ. وَقَالَ ابْنُ الْمَلَك: أَيْ الأَشْرَفُ فَالأَشْرَفُ، والأَعْلَى فَالأَعْلَى رُتْبَةً وَمَنْزِلَةً. يَعْنِي: مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ بَلاؤُهُ أَشَدُّ؛ لِيَكُونَ ثَوَابُهُ أَكْثَر.

obeikandi.com

بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ [٣] ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ [٤]، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ [٥] » [٦]

وهذه الآية ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [٧]، وقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ ﴾ [٨]، وقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [٩]، ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ أي: الذين صدقوا في دعوى الإيمان، ممَّن هو كاذب في قوله ودعواه. والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كانَ كيفَ يكون. وهذا مُجمَعٌ عليه عند أئمة

---

(١) أيْ على مقْدار دِينه ضعْفًا وقُوّة، ونَقْصًا وكَمالاً.
(٢) أيْ قويًّا شديدًا.
(٣) أيْ ذا رِقّة.
(٤) أيْ ببلاء هيِّن سَهْل.
(٥) هذا كِنايَةٌ عَنْ خلاصه مِنْ الذُّنوب، فَكَأنَّهُ كانَ مَحْبُوسًا، ثُمَّ أُطْلِقَ وَخُلِّيَ سَبِيلُهُ يَمْشِي مَا عَلَيْهِ بَأْسٌ
(٦) الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم ٢٣٢٢، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.
(٧) آل عمران: ١٤٢.
(٨) التوبة: من الآية ١٦.
(٩) البقرة: ٢١٤.

السُّنة والجماعة، وبهذا يقول ابنُ عباس وغيرُه في مثلِ قوله: (إلاَّ لِنَعْلَمَ) إلاَّ لنرى؛ وذلك لأن الرؤية إنما تتعلّق بالموجود، والعلم أعمُّ من الرؤية؛ فإنه يتعلَّق بالمعدوم والموجود.

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ أي: لا يحسبنَّ الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلَّصون من هذه الفتنة والامتحان، فإن من ورائهم - من العقوبة والنَّكال - ما هو أغلظُ من ذلك وأطَمُّ. ولهذا قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ ﴾ ؟ أي: يَفُوتُونَا ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ أي: بئسَ ما يظنون.

﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ ﴾ أي: في الآخرة وعمل الصالحات ورجاءِ ما عند الله من الثواب الجزيل، فإن الله سيحققُّ له رجاءَه، ويوفِّيه عملَهُ كاملاً موفوراً، فإن ذلك كائنٌ لا محالة؛ لأنه سميعُ الدعاء، بصيرٌ بكل الكائنات، ولهذا قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾ كقوله: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ ﴾ [1] أي: مَن عمل صالحاً فإنما يعودُ نفعُ عمله على نفسه؛ فإن الله تعالى غنيٌّ عن أفعال العباد، ولو كانوا كُلُّهم على أتقى قلبِ رجلٍ منهم، ما زاد ذلك في مُلكه شيئاً. ولهذا قال: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ قال الحسنُ البصري: إنَّ الرجلَ ليجاهد ومَا ضَرَبَ يوماً من الدَّهر بسيف.

---

(١) فصلت: من الآية ٤٦.

أخي المسلم: ذاك ما ذكره الإمامُ ابنُ كثيرٍ في تفسير هذه الآيات ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾

فلنتدبر ما جاء في هذه الآيات، ولنعلم أننا نَمُرُّ بالحياة الدنيا ولا نُقيم، وأن أعمارنا هى فترة امتحاننا، وأنها ليست بأيدينا، وإنما هي بيد الله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢ ﴾ (١)، ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ ﴾ (٢)

وإذا كانت آجالُنا هي فترة امتحاننا، وليست بأيدينا، فلنُسارع في عمل الخيرات، ولنُجب - ونحن نُمتَحَن بعُسرٍ أو يُسرٍ، أو صحةٍ أو مرضٍ - لنُجب بما يُحقِّق لنا الفوزَ والفلاح؛ فمن أجل هذه الامتحان خُلِقْنَا، وعليه يترتَّبُ الفوزُ أو الخسران ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ (٣)، ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ

(١) الأنعام: ٢.
(٢) لقمان: من الآية ٣٤.
(٣) الملك: ١، ٢.

نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [1]، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [2]

فلنعمل الصالحات، ونرجو من الله القبول؛ فإنَّ ما نعمله سنجده حاضراً ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾ [3]

ألاَ يدعونا ذلك أن نُخلص القَصْدَ، ونُحسنَ العمل، وأن نُجيب عمَّا امتُحِنَا به ونحن نستحضر المواقيت، فلا تُلهينا الرغائبُ عن العواقب؛ لنظفر - في جميع الأحوال - بخير النتائج ؟ إن امتُحِنَّا بالبلاء صَبَرْنَا، فكان الصبرُ خيراً لنا، وإن امتُحِنَّا بالعطاء شكرنا، فكان الشكرُ خيراً لنا، فيكون المؤمن - بحُسن إجابته - رابحاً في جميع الأحوال، في السَّراء والضَّراء، والشِّدة والرَّخاء، ولا يكون ذلك إلا للمؤمنين.

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾

فتنةُ وابتلاءٌ لأهلِ الإيمان بحسب ما عندهم من الإيمان. وهنا تتفاوت الدرجاتُ، ويكون التنافسُ بين الناس على إحرازِ البرِّ وعملِ الخيرات ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ [4]

---

(١) الإنسان: ٢.
(٢) الكهف: ٧، ٨.
(٣) آل عمران: من الآية٣٠.
(٤) محمد: ٣١.

٥٦

مع ابنِ كثير في تفسيره لنتدبر ما جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١)

فقد جاء في تفسير هذه الآيات قوله:

يقول تعالى مُخبراً عن الخليلِ إبراهيم عليه السلام أنه أرشدَ قومَهُ إلى إثباتِ المَعاد الذي ينكرونه. أرشدهم إليه بما يشاهدونه في أنفسِهم من خَلْقِ الله إيَّاهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، ثم وُجِدوا، وصَاروا أُناساً سامعين مُبصرين.

فالذي بدأ الخَلق قادرٌ على إيعاده؛ فإنه سهلٌ عليه، يسيرٌ لديه.

ثم أرشدهم إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة، من خَلق الله الأشياء (السموات) وما فيها من الكواكب النَّيِّرة الثوابت والسيارات (والأرضين) وما فيها من

(١) العنكبوت: ١٩- ٢٣.

مهادٍ، وجبالٍ، وأوديةٍ، وبراري، وقفارٍ، وأشجارٍ، وأنهارٍ، وثمارٍ، وبحارٍ. كُلُّ ذلك دالٌّ على حدوثها في أنفسها، وعلى وجودِ صانعها الفعَّالُ المختار، الذي يقول للشيء كُنْ، فيكون. ولهذا قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ (١)

ثم قال: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾، وهذا شبيهٌ بقوله: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ (٢)، وكقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: هو الحاكم المتصرِّفُ الذي يفعل ما يشاء، ويحكُم ما يريد، لا مُعقِّبَ لحُكمه، ولا يُسألُ عمَّا يفعل وهم يُسألُون ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٤)، ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ ﴾ (٥) مهما فعل فَعَدْلٌ؛ لأنه المالك الذي لا يظلم مثقالَ ذرَّةٍ، كما جاء في الحديث الذي رواه أهلُ السُّنَّة: « لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ

(١) الروم: من الآية ٢٧.
(٢) فصلت: من الآية ٥٣.
(٣) الطور: ٣٥، ٣٦.
(٤) الأنبياء: ٢٣.
(٥) الأعراف: من الآية ٥٤.

عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ »[1]، ولهذا قال تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: تُرجَعُون يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ ﴾ أي: لا يُعجِزه أحدٌ من أهلِ سماواته وأرضه، بل هو القاهرُ فوق عباده، فكُلُّ شيء خائفٌ منه، فقيرٌ إليه، وهو الغنيُّ عمَّا سواه ﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ ﴾ أي: جحدوها، وكفروا بالمَعَاد ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى ﴾ أي: لا نصيبَ لهم فيها ﴿ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي: مُوجِعٌ شديدٌ في الدنيا والآخرة.

ذاك ما ذكره الإمامُ ابنُ كثيرٍ في تفسير هذه الآيات ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

فلنتدبر ما جاء في هذه الآيات، ولْنُقِمْ حياتنا على أساسٍ من عقائدنا؛ حتى لا

---

(١) أبو داود: كتاب السنة، باب في القدر، رقم ٤٠٧٧.

نَضِلَّ أو نُضَلَّ، ونحنُ نرى ما نُخاطَبُ به في واقعٍ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (١)

آياتٌ وآياتٌ وآياتٌ تُرينا ما كُنَّا عليه، وما نحن صائرون إليه. وتُبصرنا بأسباب الفوزِ والنجاة، وتُحذرنا من سُبُلِ الدمار والخسران؛ لنعمل في دُنيانا ونحنُ نُوقِنُ أنَّ عملَنا سوف يُرَى، وأننا سنُجْزَى عليه.

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (٢)

فلنُسارع إلى أعمال الخير، ولنُخلص العملَ لله ﷻ؛ فإن عملنا لا يخفى، سواء كان خيراً أو شراً. وَسَنُرَدُّ إلى الله فنُخبَرُ بما عملنا، فليس لنا من سبيلٍ للنجاة إلاَّ أن نُحسنَ العمل، ونُخلص القصد لله. ولو أنَّ أحدَكم يعمل في صخرةٍ صمَّاء ليس لها بابٌ ولا كُوَّة، لأَخْرَجَ الله عملَه للناس، كائناً ما كان.

---

(١) الجاثية: ٢٦- ٣١.

(٢) التوبة: ١٠٥.

فعلى الذين ينشدون الصلاحَ لدُنياهم أن يُوقنوا بالحساب والجزاء في أُخراهم، فإن ذلك هو السبيلُ الوحيدُ لسلامِ الناس وأَمْنِهم، وإصلاح ذات بينهم، وهم يعرفون ربَّهم، فيخشون عقابَه، فيكون دافع الإنسان إلى عمل الخير يقينه بأنه عائدٌ إلى الله، ومُحاسَبٌ عليه، ويكون المانع من الشر يقينه بأن فاعل الشرِّ مأخوذٌ به، مُحاسَبٌ عليه.

وهنا تَنْعَمُ دُنيا الناس بفعلِ الخير، وتسلم من ظلمات الأهواء والشهوات؛ بدافعٍ من إيمانٍ ويقينٍ. وفى ذلك صلاحُها وإصلاحُها.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝ ﴾ (١)

(١) المؤمنون: ٦١،٦٠.